

المشرق الرقيّة



مجلة إلكترونية تصدر مرتين في السنة عن دار المشرق
العدد الأوّل. آذار ٢٠١٣

الهيئة اليسوعيّة لخدمة اللاجئين في سوريا: لمسة حُبّ ورحمة وصوت عدل وسلام في عالم الجنون

الأب نورس السمور اليسوعي*

بدأت الهيئة اليسوعيّة لخدمة اللاجئين Jesuit Refugee Service (JRS) أعمالها في منطقة الشرق الأوسط في بصيف العام ٢٠٠٨ في تركيا والأردن وسوريا. واقتصرت نشاطاتها آنذاك على خدمة اللاجئين العراقيين وبعض المجموعات القادمة من مناطق آسيا الوسطى وأفريقيا، شاملةً قطاعي التربية والدعم النفسي والاجتماعي من أجل الأطفال والعائلات، إضافةً إلى تقديم ثمة خدمات صحيّة ومساعدات ماديّة.

ومع اشتداد الأزمة السوريّة وتفاقمها عسكرياً وإنسانيّاً، نحت الهيئة اليسوعيّة لخدمة اللاجئين منحىً جديداً، إذ أخذت تهتمّ باللاجئين السوريين داخل الأراضي السوريّة وخارجها، فدعمت مشاريعها في البلدان النشطة فيها قبل الأزمة المذكورة، وبادرت إلى تأسيس مشاريع في لبنان لهذه الغاية.

* مدير الهيئة اليسوعيّة لخدمة اللاجئين الإقليمي

ولا شكّ في أنّ الوضع السوريّ الراهن شديد التعقيد ولا ينحصر على بُعدة السياسيّ وحسب، بل يتجاوزه ليشمل القطاعات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتربويّة. لذا، يمكن نعتُ الأزمة هذه بالأزمة الشاملة المأساويّة التي لا توفر نتائجها المهولة أيّ مكّون من مكّونات المجتمع السوريّ الممزّق نسيجه أيّ تمزيق. وإزاء مثل هذا المشهد الذي يُدمي القلب، بات الألم والقلق عاملين سلبيين يوحّدان السوريّين أيّاً كانت أطيافهم. فإنّهم جميعاً قلقون وخائفون ومتألّمون؛ وما من أحد منهم في وسعه أن يتجاوز غموض الوضع ويدّعي تلمّس مخرجٍ منه، من دون أن يسقط في فخّ التعميم المبسّط بل والقاتل.

في ضوء هذا الواقع، اختارت الهيئة، منذ أن باشرت نشاطاتها، مبدأ الحياد في تعاملها والنازحين واللاجئين. فالجميع يتألّم والجميع متساوٍ في الألم.

صحيح أنّ مبدأ الحياد هو أساس عمل هيئات الإغاثة كافّة في أوقات الكوارث، وهو متأصل في عمل الكنيسة الاجتماعيّ وتعليمها. لكن ما يميّزنا اليوم أنّنا ننتهج مبدأ الحياد الإيجابيّ الفاعل، أيّ ذلك الحياد الذي لا ينأى بنفسه عن الالتزام في خدمة الناس من دون تمييز بين إنسانٍ وآخر، بغضّ النظر عن انتمائه الدينيّ أو الطائفيّ أو الاجتماعيّ أو السياسيّ، كما أنّه نهجٌ لا يتوانى عن نشر رسالة العدالة والسلام والتسامح واللاعنف، وتعزيز مبدأ الكرامة الإنسانيّة عند كلّ إنسان، في عالم مرّقه عنفُ البشر الأعمى، ومنعه صخب السلاح من الإصغاء إلى هذه الرسالة.

تقوم الهيئة اليوم في سوريا بخدمة ثمانية آلاف أسرة نازحة من المدن السورية كافة على نحو التقريب، في مراكزها بحلب (٣٠٠٠ أسرة تقريباً)، وحمص وريفها ومنطقة الوادي (٢٠٠٠ أسرة تقريباً)، ودمشق وريفها (٣٠٠٠ أسرة تقريباً). ومن المرجح أن توسع هذه الأعداد نتيجة ازدياد حجم المأساة وتسارع وتيرة العنف. يقوم بخدمة هذه العائلات المتضررة فريق عملٍ أساسيٍّ مكون من ستة يسوعيين سوريين وخمسة عشر إدارياً، انضم إليهم فريق من المتطوعين العلمانيين مسلمين ومسيحيين (٣٥٠ متطوعاً تقريباً تم اختيارهم وفقاً لمبدأ الحياد الإيجابي الذي رفعناه شعاراً). يقوم الفريقان بتنظيم آليات استقبال العائلات في مراكزنا، وزيارتها في منازلها أو أماكن إيوائها، وتنظيم الجداول الخاصة بحاجاتها الأساسية التي يتم على أساسها تنظيم توزيع المساعدات.

تتركز مساعدتنا على محاور ثلاثة:

محور أعمال الإغاثة : ويشمل توزيع الحصص الغذائية على جميع العائلات المسجلة مرة واحدة في الشهر. كذلك يقوم مطبخ مركزنا في حلب بتقديم ١٣٠٠٠ وجبة غذائية ساخنة يومياً لخمسة عشر مركز إيواء في المدينة. أما مطبخ مركزنا في مدينة جديدة عرطوز في ريف دمشق فيقدم ٦٠٠ وجبة ساخنة في مركز إيواء واحد في البلدة.

ومن ضمن أنشطة الإغاثة أيضاً، تقوم مراكزنا بتأمين حاجات المعيشة الأساسية من فرشٍ ووسائد وأغطية وملابس وأدوات مطبخ، وغير ذلك.

محور المساعدات الصحيّة : ويتركز الجهد فيه على تأمين أدوية لأصحاب الأمراض المزمنة الأساسيّة المنتجة محليًا، مثل دواء داء السكريّ والقلب وارتفاع التوتّر الشريانيّ والأمراض النفسيّة والعصبية، إلخ.

كذلك تعمل مراكزنا على تأمين حاجات الأطفال من حليبٍ وأغذية نوعيّة وفوط صحيّة للنساء والأطفال.

محور الدعم النفسيّ والاجتماعيّ : ويتألّف من استقبال الأطفال من عمر خمس سنوات إلى عمر ١٦ سنة في مراكزنا، بغية مساعدتهم على التعبير عن أنفسهم وتفريغ مخاوفهم، وذلك من خلال برامج أعدتها مجموعة من الاختصاصيين، إضافةً إلى تنظيم دورات دعمٍ مدرسيّ في الموادّ الدراسيّة المختلفة.

تكمن أهميّة هذه النشاطات، في نظرنا، في أنّها تؤسّس لمصالحة بين الفرقاء مستقبلاً. فأطفال العائلات المتصارعة يعيشون جنباً إلى جنب ويلعبون معاً، وبذلك يساعدون أهلهم على تجاوز عنف الخوف من الآخر المختلف.

وأخيراً وليس آخراً، تسعى الهيئة حثيثاً إلى أن تكون صوتَ مَنْ لا صوتَ لهم من ضحايا العنف اليوميّ الأعمى الذي يضرب السوريين جميعاً.

إنّ رسالتنا هذه، القائمة على الإبحار عكس التيار السائد، إنّ هي إلاّ لبنة في صرح سوريا المستقبل، سوريا الأمن والكرامة والعدالة والسلام.